

التربية على العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: لا شك أن أمر العقيدة الإسلامية من أهم الأمور، وأن شأنها عظيم، والاهتمام بأمرها أكيد؛ لأجل ذلك أهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، وألفوا المؤلفات التي ضمنوها المعتقد المأكود من الكتاب والسنة، والذي درج عليه سلف الأمة، وبسطوا في ذلك واختصروا، وكتبو، ودرّسوا، وقرروا، وكل ذلك نصجاً منهم للأمة حتى ثبتت على عقيدة صحيحة ترسخ هذه العقيدة في قلوبها. وفي هذه المقدمة نحب أن نتكلم عن مبدأ العقيدة وتطوراتها إلى زماننا هذا، مع الإشارة إلى بعض ما كتب في العقيدة، فنقول: العقيدة التي منها هذه الرسالة (لمعة الاعتقاد)، ومنها (العقيدة الواسطية) وغيرها؛ مشتقة من العقد، وذلك أن العقد هو ربط الشيء بعده ببعضه، تقول: عقدت الجبل ببعضه، أي: وثقته وربطته، وسميت بذلك لأن القلب يعقد عليها عقداً محكماً مبرراً لا سبيل إلى انفكاكه، وذلك لأن أدلةها جلية صحيحة واضحة، لا يعتريها شك ولا تغيير، وأدلتها نصوص قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة؛ فلأجل ذلك يعقد عليها القلب، ولا يمكن أن يتزعزع هذا الاعتقاد من القلب إلا إذا كان العقد غير محكم وغير قوي، فإنه عرضة للتزعزع. ولأجل ذلك كان العلماء والمسلمون عموماً، يربون أولادهم على العقيدة منذ الطفولة، ويلقنونهم كيف عرّفوا ربهم، وبأي شيء عرفوه، ولأي شيء حُلقو، وبأي شيء أمرّوا، وأول ما فرض عليهم، وأهم الفرائض، وما إلى ذلك؛ حتى إذا تلقاها الطفل في صغره، وتربى عليها نبت لحمه وعظمه وعصبه وعقله على هذه العقيدة، فأصبحت راسخة لا تتزعزع، بحيث لو عرضت عليه بعد ذلك شبّهات، أو أتى بما يزعزع وبما يفتّن، بل لو فتن وحبس وضرب وأذى فلن يتغير اعتقاده، وذلك للأسباب التالية: أولاً: أنه تربى عليها عند أبويه، وتلقاها وهو طفل. ثانياً: أنه ألفى عليها أبويه، وأباوه أنصح الخلق له، وهما يحبان له أن يتربى على الخير. ثالثاً: أن الأدلة التي تؤيد هذا الاعتقاد أدلة جلية، واضحة في ظهور معناها، صحيحة قطعية الثبوت لا يمكن أن يعتريها شك، أو تغير، فهذا ونجوه مما يبين أهمية هذه العقيدة. بعد ذلك نقول في تطور أمر هذه العقيدة قبل أن نبدأ في شيء من تفاصيلها: معروف أن الرسل كلهم بدعوا رسالتهم بأمر العقيدة التي هي عبادة الله لقوله تعالى: {إِغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} (الأعراف: 59) تقريراً للإلهية بأن الله - تعالى - هو الإله، بحيث يعترفون أن لهم ربّاً، وأن ربهم هو الله، وأنه الذي له الإلهية وحده، ولا تصلح الإلهية إلا له سبحانه وتعالى. وهذا مبدأ العقيدة وأساسها كما سيأتي، فالرسل بدعوا بأمر العقيدة، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدأ بأمر العقيدة، فبقي عشر سنين بمكة بعد أن أوحى إليه لم يدع إلا إلى العقيدة، وهي معرفة الله وعبادته وأداء حقه، وترك عبادة ما سواه، وإقامة الأدلة التي ثبتت لله وحده العبودية وتنتفي عن ما سواه أن يكون معبوداً أو إلهاً. وتطول الأدلة والبراهين على ذلك، ففي كثير من السور المكية يذكر الله عز وجل ما يدل على أنه سبحانه هو الرب، وهو الإله، وهو المعبود وحده، ويقيم على ذلك الأدلة الواضحة التي يبراها الإنسان عياناً، ويزكرها ولا يستطيع أن يحدّها أو ينكرها، فنجد مثلاً في سورة الإنسان قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانَ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ سَيِّئًا مَذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْسَاجَ تَبَلَّهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} (الإنسان: 1-3)، أليس هذا تقريراً للإلهية؟ وأن الذي خلق الإنسان بعد أن كان معدوماً هو الخالق المنفرد بالخلق؛ تقريراً لأنه هو الخالق وحده، وأنه هو الذي يستحق أن يعبد، ولا يجده إلا معاند. ثم السورة التي بعدها فيها أيضاً تقرير ذلك مثل قوله تعالى: {أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَّاً أَحْيَاءً وَأَمْوَالًا} (المرسلات: 25-26) إلى آخر الآيات؛ يذكر الله آيات ودلائل على أنه هو المنفرد بالإلهية، وأنه هو المتصرف بالربوبية وحده؛ لأن هذا تصرفة هو وحده الذي انفرد به، فهو أهل أن يكون معبوداً وحده دون ما سواه. كذلك السورة التي بعدها: {أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالجَبَالَ أُوتَادًا} (النبا: 6-7) إلى آخر الآيات تقرير للإلهية، وعرض المعجزات والبراهين التي من تأملها وتعقلها رسمت العقيدة في قلبه؛ بحيث يعرف أن الذي أوجد هذه الكائنات على هذا الإحكام؛ غاية الأحكام أنه أهل أن يعظم، وأهل أن يعبد وحده، وأن يشكر ويدرك، وأن تكون الطاعة له دون ما سواه، وأهل أن يطاع رسله الذين أرسلهم وحملّهم رسالته. وفي السورة التي بعدها يقول تعالى: {أَلَّا تَرَى أَنَّمَا خَلَقَ أَمَّا السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} ... (النازعات: 27-28) إلى آخر الآيات - يحتاج عليهم بهذا الخلق المحكم العظيم الذي لا يستطيع أي مخلوق أن يغيره عن وضعه. فالذي أوجد هذه المخلوقات هو الإله، وهو الرب، وهو المعبود وحده.